انعكاسات أساليب التنشئة الأسرية للأب في تطبيع سلوكات الأبناء

د/ بوقطاية مـــراد

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

–جامعة الجزائر–

ملخــص:

تؤثر التنشئة الأسرية المحيطة بالأبناء على مكونات شخصيتهم. فالأسرة قد تحيطوا الأبناء بظروف غير ملائمة لشكيل شخصيتهم. فعوامل الضغط والتسامح، والقمع والحرية، والتسيب والانضباط، وما يتوفر للأبناء من مقومات الشعور بالأمان أو التهديد كل ذلك ينعكس سلبا أو ايجابا على تكوين شخصية الأبناء.

يوضح هذا المقال، انعكاسات أساليب التنشئة الاجتماعية للأب في تطبيع سلوكات الأبناء، ثم اظهار الأساليب الواجب اتخاذها حتى نؤصل عندهم السلوكات المقبولة اجتماعيا ونستئصل السلوكات غير المقبولة اجتماعيا حتى نضمن للأبناء صحة نفسية وعقلية سليمة.

Résumé :

L'acculturation en milieu familial influe sur la formation de la personnalité des enfants. Car, la famille peut présenter des conditions défavorables à l'émergence d'une personnalité équilibrée chez eux.

En effet, les facteurs de pression et de tolérance, de répression et de liberté, de délaissement et de rigueur, ainsi que les sentiments de sécurité et de danger, peuvent influer, négativement ou positivement sur le développement de la personnalité des enfants.

Ainsi, cet article démontre l'impact des modes d'acculturation exercés par le père en milieu familial sur les comportements des enfants ; et présente ensuite, les méthodes capables de leur permettre de développer des comportements sociaux acceptables et une bonne santé psychique et mentale.

مقدمـــة:

طبيعة علاقة الزوج (Couple) مع بعضهما تحدد بشكل كبير معالم التأثير الذي تتركه على تربية الأبناء، فإن سادت روابط حميمية بين الزوج وعاشا مع بعضهما في جو من المحبة، فإن محيط الأسرة سوف يكون مهيأ لنمو وتربية الأبناء.

ونظرا للأهمية الخاصة ، للعلاقات بين الأم والأب في تربية الأبناء فإننا نؤكد دائما على تكامل الأدوار بينهما ونحاول أن نحدد دور كل منهما في التربية مع التأكيد على أن التربية مسؤوليتهما معا.

إذ أن كليهما يساهمان في تربية الأبناء. وكل واحد يفي بدوره، ولا يمكن لأي منهما أن يتخلى عن دوره للآخر، وينسحب جانبا فتربية الأبناء ليس الحمل الذي يقدر على حمله الأب أم الأم كل واحد بمفرده.

وإنما تكون مشاركتهما وتعاونهما، وتوافقهما، أمرا واجبا، والتساؤل هنا: هل يمكن معرفة دور أيهما أكثر حساسية؟ ولماذا ؟

غالبا ما يكون الجواب عن هذا التساؤل المطروح، هو أن الأم بحكم تواصلها الدائم والطويل بالأبناء يكون لها الدور الأكبر في تربيتهم، ومن جهة أخرى إن وجود عاطفة الأمومة عند المرأة، يجعلها تنشغل بانجاز الأعمال الخاصة بأبنائها، بهمة ونشاط أكثر من الأب ولذلك فإنه في الماضي لم نعر الاهتمام الكافي لدور الأب في حياة الأبناء.

ومما تجدر الاشارة اليه أن ما يتضمن هذا المقال من معلومات ميدانية لم يتم الحصول عليها بواسطة أدوات جمع المعلومات الميدانية كالاستبانة والمقابلة أو ملاحظة مستندة الى تحليل دقيق مرتبط بفروض محددة انما ما تسنى من حالات رصدت خلال الملاحظات اليومية.

مكانة الأب في حياة الطفل:

الأب هو أول من يدخل في الدائرة التي تربط الطفل بأمه ليكون العضو الثالث وقد كان في السابق ينظر إلى الأب باعتباره العضو الذي يقوم بإنزال العقاب على الأطفال كلما أخطؤوا، وأحادوا عن الطريق القويم المرسوم لهم، ولكن مع تقدم الأساليب التربوية الحديثة، والاهتمام بتطبيق نظريات علم النفس الأكثر تطورا وإلماما بحاجات الأطفال وقواعد تنشئتهم ورعايتهم نستطيع أن نقول: إن وجود الأب في حياة الطفل قد أخذ اهتماما

أكبر واعمق من كونه يقوم بعمليات العقاب ، أو من كونه المتولي شؤون الإنفاق على الأسرة وبالأخص على أطفاله.

ويقرر عالم النفس الشهير ((فليليس هوسلر)) بأنه قد تنتاب الطفل بعض المظاهر السلبية أو العدوانية تجاه أبيه، فالوليد الذي مازال على ذراعي أمه قد يبدي عجزا ملحوظا في تقدير والده، وحينما يصل الطفل إلى مرحلة أعلى في النمو فقد يظهر عداءه لوالده باللفظ حينما نقول له: (ابتعد) وقد يطلب من أمه أن تحمله، عندما يشعر بأن أباه يقترب من أمه!! حتى إنه- في بعض الأحيان- يصر أن ينام في فراشها! وقد تتدخل الأم في محاولة منها لمنع هذا العنف المتزايد، حينما تحاول إفهام الطفل، بقولها : (عيب... يجب أن تحب أباك) ، أو تستطرد وهي تحاول استرضاءه بقولها : هو الذي أحضر لك الحلوى التي تحبها !! وعموما فإن هذه المحاولات وغيرها قد تبوء بالفشل ولا يكتب لها النجاح

- في أغلب الأحيان- فلا قيمة لحب الأب وعطفه ورعايته للطفل مادام الأب قد تسبب بشكل أو بآخر في بعد أمه عنه.

على أنه إذا دققنا النظر من خلال بحث هادئ متأن عن الأسباب التي تكمن وراء هذه الظاهرة تجاه الأب، لوجدنا أن الأم قد تتحمل بعض التبعات- حال نمو طفلها إلى الحد الذي يجعله يستطيع أن يفهم ما يقال له ويستوعبه- فعندما تقول الأم لطفلها :« عليك أن تكون هادئا وإلا فإن والدك سيغضب » أو حينما تهدده بقولها : (سوف أقول كل ما حدث منك لأبيك حتى يعاقبك).

كل هذه العبارات تكون في عقل الطفل فكرة سلبية عن والده بوصفه شخصا غير مستقر وغضوبا وعصبي المزاج يقوم بالعقاب البدني أو المعنوي أو كليهما.

وعلى هذا فقد يخادع الطفل والده ويعامله بلطف ورقة، ولكنه في داخله يفتقد الثقة به ! ونستطيع القول في هذا الصدد: إن تصحيح الفكرة التي يكونها الطفل عن والده ليس بالشيء السهل، لأن الوالد ليس معه غالبا- كما الأم- لكي يحدثه عن نفسه شارحا مزاياه ومحاسنه، عندها تكون الخسارة كبيرة - بلا شك- فقد يحرم الطفل التمتع ببهجة الأب وثقته فيما بعد وخاصة إذا كان الطفل ذكرا، لأن تنمية صفات الرجولة فيه، تعتمد إلى حد كبير على انطباعاته الأولى، حيث يشكل نفسه على غرار والده بطريقة لا واعية، على أن مظاهر أخرى أصدق تصويرا للأبوة، يمكن أن نكشف عنها للطفل ليتشربها دون

تردد أو ارتياب ، فعندما يشارك الأب في رؤيته وإبداء رأيه في الأشياء الجديدة التي تم جلبها للطفل في وجوده وعلى مقربة منه، وعندما يصطحب الأب طفله معه إلى السوق لجلب بعض الأغراض فإن هذا من شأنه أن يخفف من قلق الطفل نحو والده ويجعله قريبا منه، متحمسا للبحث عنه أينما ذهب.(فؤاد حيدر ، 1984 .)

انعكاسات أخطاء الآباء على التنشئة الأسرية للأبناء :

هناك بعض الآباء لديهم سلوكات تنعكس سلبا على تربية الطفل وتنشئته نذكر منها على سبيل المثال:

1- إغفال استعدادات الطفل وقدراته:

يرغب الآباء دائما في الأفضل لأبنائهم ولاشك في ذلك ولكن بعضهم قد يتبع أسلوبا خاطئا في ذلك فقد يطلبون من أبنائهم أن يحققوا أشياء أخفقوا هم في تحقيقها أو لم تسمح لهم ظروفهم في القيام بها كاختيارهم مهنا لأبنائهم لا تتناسب وطموحاتهم أو اختيارهم نوع دراسة لا ينسجم وقدرات أبنائهم وبمعنى آخر يسعى الآباء إلى أن يحققوا بأبنائهم أشياء عجزوا هم عن تحقيقها والنتيجة هي إخفاق الأبناء وتولد ردود فعل عدوانية وانتقاميته تجاه آبائهم ما تلبث أن تتحول نحو الأسرة والمجتمع فيما بعد.

وبذلك نقول إنه على الآباء أن يفهموا دورهم بوصفه توجيها وإرشادا وليس قسرا وتهديدا.

2- التساهل والإهمال في التربية:

بعض الآباء يتركون أطفالهم يفعلون ما يشاؤون نتيجة لتربية قاسية خضعوا لها في حياتهم وبذلك لا نجد لديهم أي ضوابط في تربية أطفالهم مما يؤدي إلى تنشئة أطفال لا يراعون القواعد والأصول داخل المنزل أو خارجه.

أما الإهمال، فهو يتمثل في ترك الطفل دون تشجيع من والديه(خاصة الأب) على أي أسلوب مرغوب فيه أتى به، أو دون محاسبة على سلوك غير مرغوب فيه قام به إضافة إلى تركه دون توجيه إلى ما يجب أن يفعله من سلوكات أو ما لا يفعله.

وقد يكون السبب كثرة مشاغل الأب أو علاقة سيئة مع زوجته تقوده إلى تركها تربي بمفردها ليبين لها إخفاقها.

وأحيانا نلاحظ وجود طفل متفوق في المدرسة ولا يلقى من والده أي تشجيع لا يلقى سوى هزة رأس مما يصيب الطفل بالإحباط ويفقده شعوره بمكانته في الأسرة

وإحساسه بالانتماء لها فيترتب على ذلك شخصية قلقة تتخبط في سلوكها بلا قواعد أو حدود فاصلة واضحة.

وقد ينضم الطفل مع الزمن لمجموعة أطفال محبطين فيؤلفون عصابة تقوم بأعمال سيئة ويعتدون على حقوق الآخرين ويخالفون القانون.(خليل عبد الرحمن المعايطة ، 2000، ص 74.)

3- التدليل وفرط الحماية:

يتمثل التدليل في تشجيع الطفل على تحقيق معظم رغباته الملحة وغير الملحة في التو واللحظة دون تأجيل، وقد يتضمن التدليل تشجيع الطفل على القيام بألوان من السلوك قد نعتبرها معيبة، أو خارجة عن المألوف، أو من الأساليب السلوكية غير المرغوب فيها اجتماعيا، وقد يتضمن دفاع الأب أو الأم عن هذه الأنماط السلوكية غير المرغوب فيها ضد أي توجيه أو نقد يصدر إلى الطفل من الخارج يظهر التدليل بشكل واضح تجاه الطفل وحيد والديه، حيث ينال رعاية كبيرة ومركزة إذ تنحصر فيه آمال الأبوين، ويتوقع منه والده – على الأخص- إنجازات رائعة، فيترتب على ذلك شخصية غير سوية، فهو إذا ما كبر لا يستطيع أن يتحمل أية مسؤولية يعهد بها إليه، وغالبا ما يكون غير منضبط في سلوكه أو عمله فهو دائم الاعتماد على الآخرين، وعلى ذلك فالشخص الذي أغدق عليه الحب في الطفولة دون ضبط غالبا ما ينمو مستهترا في كبره، ونؤكد أنه لا يكفي العطف والحنان الذي يضمره الوالدان لضمان التوفيق في حل المشكلات الكبيرة التي تصدر عن الطفل في سنواته الأولى، بل الواقع إن هذا الحب أو التدليل المبالغ فيه، من قبل الوالدين للصغير، قد يكون العقبة التي تعرقل حسن قيام الأب والأم بواجباتهما إزاء الطفل، ذلك لأن الإسراف في القلق والخشية على الطفل تقف حجرة عثرة في وجه التصرف السليم في كثير من مشاكل الطفولة .

أما الحماية الزائدة للطفل، فتتمثل في أن الأب أو الأم قد يقوم نيابة عن الطفل بالمسؤوليات أو الواجبات التي يمكنه أن يقوم بها، والتي يجب تدريبه عليها إذا أردنا أن تكون له شخصية قوية استقلالية... وهذا السلوك لا يتيح للطفل فرصة أن يتخذ القرارات بنفسه، فالأب مثلا يتحمل مسؤولية الدفاع عن الطفل إذا تشاجر مع أحد زملائه أو أقرانه في المدرسة أو الشارع، دون أن يترك للطفل الفرصة لتسوية حساباته بنفسه.

وقد يرجع إتباع الأسرة لهذا الأسلوب في التربية، إلى كون طفلها وحيد بين عدد من البنات أو العكس، أو لأنه الطفل الأول للأسرة وينقص الأب أو الأم الخبرة الكافية لتربيته، أو لأن الأم عانت كثيرا حتى أنجبته، أو لأن الطفل ضعيف الصحة كثير المرض.

ومن مظاهر هذه الحماية المبالغ فيها أن يقوم الوالدان بدل الابن بانجاز واجباته المدرسية، أو يصطحبانه إلى المدرسة، وكما قلنا من قبل، فإن الطفل في هذه المرحلة أو ما يشابهها ينمو بشخصية ضعيفة، وخائفة، وغير مستقرة، تعتمد على الآخر في قيادتها، وغالبا ما يسهل استثارتها واستمالتها للفساد، كما تتم بعدم الاستقرار على حال، وانعدام التركيز وعدم النضج، وتتم أيضا بانخفاض قوة الأنا، وتقبل الإحباط، وتظهر على صاحبها كثير من استجابات الانسحاب وفقدان التحكم الانفعالي. (خليل عبد الرحمن المعايطة ،2000، ص 74.)

4- القسوة والتفرقة في المعاملة بين الأطفال :

تتمثل القسوة في استخدام أساليب العقاب البدنية، أي في كل ما يؤدي إلى إثارة الألم الجسمي كأسلوب في عملية تربية الطفل، وهذا الأسلوب الذي يقوم به الأب عادة – تجاه أطفاله– يترتب عليه اعتلال خطير في صحتهم النفسية، والطفل الذي يعتاد على الضرب المبرح هو طفل ينزع إلى التمرد والعدوانية كوسيلة للتنفيس والتعويض، فهو يخرب ممتلكات الآخرين، ويتلف حاجاتهم، دون إحساس بالذنب.

وهناك من الوالدين من يلجأ إلى إثارة الألم النفسي كنوع من أنواع العقاب عن طريق إشعار الطفل بالذنب كلما أتى سلوكا غير مرغوب فيه، وقد يكون أيضا عن طريق تحقير الطفل والتقليل من شأنه، مما يفقده ثقته بنفسه، ويجعله مترددا في أي عمل يقوم به خوفا من اللوم أو التحقير أو التعنيف.

أما التفرقة في المعاملة بين الأبناء فهي تعبر عن أسلوب لا تربوي يعتمد على عدم المساواة بين الأطفال والتفضيل بينهم حسب الجنس، أو ترتيب الولد، أو السن أو أي سبب آخر، فقد تفضل الأسرة الذكور عن الإناث، وقد تحدث التفرقة على أساس ترتيب الطفل، فقد يكون الطفل الأصغر هو الذي ينال عناية خاصة عموما، فالطفل الذي يحابى يحب أن يستحوذ على كل شيء، غير عابئ بالآخرين شخصية تعرف حقوقها ولا

تعرف واجباتها، تعرف ما لها ولا تعرف ما عليها.(خليل عبد الرحمن المعايطة ، 2010، ص ص 74 –75 .)

إسهامات الأب في التنشئة الأسرية السليمة للأبناء :

أولا: المشاركة الفعالة في تربية الأطفال:

إن مشاركة الزوج زوجته بشأن تربية الأطفال سواء أكانت الزوجة – تعمل أم لا تعمل – هي المقام الأول ضمان لصحة الطفل النفسية فرعاية الآباء لأبنائهم تجعلهم يحسون بمتعة شديدة، لأن وجود الأب وسط أولاده يهيئ دفئا عاطفيا حميما ومن شأنه أيضا يدعم مفهوم المشاركة من أجل خلق مناخ صحي وسليم في العلاقات بين أفراد الأسرة جميعا، وفي مثل هذا المناخ سوف يكون للأب دوره الفعال والمؤثر في مساعدة أبنائه على تحقيق أهداف التنشئة السليمة، وهي تنمية ما لديهم من إمكانات ذهنية ووجدانية إلى أقصى حد ممكن.

ونستطيع القول إن مشاركة الأب منذ البداية في رعاية الطفل، وعلى الأخص رعايته الجسدية يهيئ ، له فرصا لا حصر لها من توثيق الروابط بينه وبين الطفل.

فمثلا بإمكان الطفل أن يميز شخصا آخر غير أمه يصحبه ليغير ثيابه المتسخة، لذلك سوف يتقبل الطفل وجود الأب بسرعة، بل وسيبحث عنه إذا غاب، وهذا كله نتيجة مساهمة الأب في العناية بطفله، لأن هذه العناية هي التعبير الوحيد عن الحب الذي يستطيع الطفل فهمه في بادئ الأمر.

إن الأب بإمكانه أن يجعل من نفسه ركنا مهما في حياة الطفل ، فهو مثلا يشارك الطفل في عدة ألعاب خاصة، وقد يعهد الأب لطفله أن يعينه في أعمال أخرى بسيطة .

وبعد ذلك يستطيع الأب أن يصحب طفله في رحلات كزيارة الأماكن الأثرية أو المتاحف أو المعارض.

إن مثل هذه الأعمال وغيرها المشتركة بين الأب وأطفاله(أولاد بنات) تقيم صلة من نوع خاص بينه وبينهم وتقضي على أية فكرة سيئة قد يعتقدها الطفل عن أبيه، كأنه مخيف أو مرهوب أو عديم النفع. حقا ما أسعد الآباء الذين يستطيعون اجتذاب أطفالهم إليهم، بحيث يقول لهم أطفالهم دائما: ألن تعلب معي يا أبي ؟ هل أستطيع أن أتي معك ؟! ألا تساعدني في حل هذا اللغز؟! (خليل عبد الرحمن المعايطة ، 2010 .)

ثانيا: التفاهم التام مع الأم:

ليس من المستغرب في شيء إذا قلنا: إنه ينبغي على الأب أن يوفر لزوجته الفرصة لتحقيق الصحة والتوافق والهناء لا وفاء بحقها فحسب، ولكن من أجل سلامة صحة أطفاله النفسية أيضا، فالطفل كائن شديد الحساسية، يستطيع أن يستكشف عن كثب ودراية ما يجري بين والديه، فإذا لمس من هذه العلاقة علامات الحب والتعاون والإيثار، كساه شعور فريد بالرضا والاطمئنان، وإذا لمس عكس ذلك كساه شعور بخيبة الأمل والقلق وافتقاد الأمن.

ليس هذا ما نبغيه فحسب، بل لابد من أن يتعاون كل من الأب والأم من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب وهذا يعني أن يكون هناك سلوك معين يثاب من أجله الطفل وسلوك آخر يعاقب عليه.

كما يتضمن هذا التعاون عدم التباعد بين اتجاه كل من الأب والأم في تنشئة الطفل، كأن يلبي أحدهما طلبات معينة والآخر يرفضها، الأب يعاقب عند إقدامه على سلوك ما، والأم تثيبه على السلوك نفسه هنا يقع الطفل في قلق وحيرة وتخبط .

إن الازدواجية في التربية أو التذبذب في المعاملة، قد تنشأ طفلا متقلب المزاج ذا شخصية منقسمة على نفسها، ولا يخفى على أحد أن الطفل إذا أدرك وجود اختلاف بشأن قواعد التربية المطبقة عليه من والده ووالدته، فقد يحفزه ذلك على محاولة الانحياز لأحدهما دون الآخر، واللعب على وتر هذا الاختلاف أو التذبذب لتحقيق رغبته، وعموما، فإن الأطفال في مجملهم يتميزون بهذه البراعة لدرجة قد تدهش الآباء وتفوق تصور الكبار.

لذلك فلا غلو أن نؤكد على أهمية تعاون الأب مع زوجته تعاونا تاما غير منقوص، لتسير حياة الطفل في سلام وأمان.(خليل عبد الرحمن المعايطة ، 2010 .)

ثالثا: أن يكون المثل الأعلى والقدوة الصالحة لأطفاله:

وجود الأب بين أطفاله في المنزل أساسي وجوهري، إذا كنا نبغي تربية سوية لأطفالنا، لأنه من خلال هذا التواجد يتعرف الصغار إلى صفاته ومميزاته وثقافاته وخبراته، لأن الأطفال بطبيعة الحال يأخذون عن والدهم الشيء الكثير الذي يعينهم في مستقبل حياتهم على مواجهة الحياة بثبات وقوة وعزيمة، وحينما يهتم الأب بإبراز صفاته

الإيجابية داخل المنزل، فإنه لا يفرضها على أطفاله فرضا، لكنه يحاول إقناعهم بها، بل والعمل على خلق مناخ أسري صحي وملائم، لان هذا المناخ المثالي الذي يحاول الأب أن يهيئه لجميع أفراد أسرته ويمكنه من تنشئتهم تنشئة سوية وقوية.

والأبناء ينظرون إلى والدهم على أنه المثل الأعلى والقدوة الصالحة، بل ويأخذ بعض الصغار كلام الأب على أنه كلام مصدق لا يقبل النقاش، وينفذونه كما لو كان قانونا، والأبناء يكونون أيضا صورة مثالية عن الأب تفتح لهم أفاقا واسعة من الخيال يدعم شعورهم بالطمأنينة والثقة بالنفس، والأب الذي له وجود واضح وسليم في الأسرة، يمكنه أن يجنب أطفاله كثيرا من معوقات النمو ولاسيما وهو من يحترمون أرائه إلى حد التقديس، لأنه كما قلنا: المثل الأعلى والقدوة الصالحة.

أما عند غياب الأب عن الأسرة، فإن الأبناء في هذه الحالة يكونون صورة خيالية وغير سليمة عنه، تلك الصورة التي لا تتوافق بطبيعة الحال مع واقع خبرات الحياة الفعلية، فإذا كبروا اصطدموا بما يواجهونه فعليا من نقائصه أو عيوبه مقارنة مع ما تمثلوه في خيالهم بكماله وخلوه من العثرات أو السلبيات فيؤدي هذا الاصطدام بين الخيال والواقع ربما إلى حالات من اليأس قد تصيب الأبناء، بعدها يقعون فريسة إما للاستسلام والخضوع أو إلى التمرد والعصيان، إن وجود الأب الحقيقي في الأسرة وهذا التواجد الحيوي الفعال هو الدعامة الأساسية لسوية الأطفال بلا شك.(محمد عودة محمد وكمال ابراهيم مرسي ، 1986 .)

رابعا: الأب ممثل السلطة على أطفاله:

نستطيع القول: إن معاملة الأب لأطفاله معاملة يسودها الحب والعطف والحنان هي معاملة سوية لا غبار عليها، ولكن هناك بعض المواقف التي تستدعي من الأب أن يقف موقفا حازما قويا، ذلك لأن الأب بالنسبة لأطفاله يمثل (السلطة الوالدية) ويمكننا أن نقول أيضا: إن الطفل في مراحل نموه المختلفة يخشى الأب ويهابه، والطفل على أية حال يحتاج نفسيا ووجدانيا إلى هذه السلطة، حتى يستطيع أن يتبنى المواقف التي تحظى بتأييد الأب وتنال ثناءه، والأخرى التي ينهى عنها ويمنعها، كذلك فإن السلطة الأبوية تساعد الطفل على تشرب القيم الأخلاقية والمفاهيم الاجتماعية وهي السلطة التي تجعله يكف عن انطلاقه وراء نزواته الطفولية، كما تساعده على اكتساب التنظيم الداخلي اللازم لعمليات التوافق الاجتماعي.

وعدم وجود هذه السلطة أو ممارستها زيادة أو نقصا بطرائق خاطئة من أهم العوامل التي تبعد الطفل عن الطمأنينة وتبذر في نفسه بذور الفزع والخوف.

ولعلنا نذكر في هذا الصدد أن غياب الأب عن المنزل لأيام أو لشهور طويلة، هو السبب الرئيسي وراء انحراف الأطفال وشذوذهم عن المألوف من السلوك، أو إخفاقهم في الدراسة، وهروبهم من البيت أو إدمانهم التدخين، وغيرها من المشكلات الخطيرة. (أحمد محمد الزعبي ، 1994 ، ص 103 .)

خامسا: الاطلاع على خصائص النمو:

إن الطفل يقول (لا) قبل أن يقول (نعم) ويزحف قبل أن يمشي ويرسم دائرة قبل أن يرسم مربعا، وهو أناني محب لذاته قبل أن يكون مؤثرا يحب الآخرين، ويعتمد على الآخرين قبل أن يعتمد على نفسه فجميع قدراته بما في ذلك أخلاقياته خاضعة لقوانين النمو والمقصود هنا أن نفهم خصائص النمو ونساعد الطفل خطوة خطوة ونوجهه في الاتجاه الصحيح وهذه من مهمة الآباء.

سادسا: ضبط وتوجيه سلوك الطفل:

تقتضي التربية السليمة للطفل أن ينشأ في ظل تربية تقدر الحرية وتؤصلها، وليس المقصود بالحرية تلك التي تتسم بالعشوائية، أو الحرية غير المنضبطة التي تؤدي في نهاية المطاف إلى الإهمال والتسيب، ولكنها الحرية المنضبطة فالحرية لا تعني بحال من الأحوال أن يترك الطفل ليفعل ما يشاء، أو ما يحلو له تحت دعوى الحرية، فهل الحرية أن يهمل الطفل أداء واجباته المدرسية مثلا ؟ إذا المطلوب من الأب أن يغرس في نفوس أطفاله روح الانضباط أو النظام، حتى تستقيم الحياة من حولهم، فإذا ما ألحت نفس الطفل على تخطي حدود معينة غير صائبة، فإن من واجب الأب أن يقف مع طفله وقفة حازمة وهادئة في الوقت نفسه، كي يبين له حدود الانضباط المرجوة، وقواعد النظام التي ينبغي أن تكون، والطفل كائن معتدل يستطيع أن يستمع إلى توجيهات الأب باحترام وثقة واطمئنان، ولاسيما إذا كانت هذه التوجيهات خالية من نبرات القسو أو العنف أو الإجحاف، فلا نريد أن يكون الأب متسلطا باطشا، وإنما نريده صديقا ودودا.(فؤاد حيدر ،1994 ، ص 165 .)

سابعا: تدريب الطفل على المشاركة :

من واجبات الأب تجاه أطفاله سعيه إلى إقامة حوار معهم، في مشاركة حميمة، بحيث تكون حياته مسخرة لهم، يشاركونه فيها، بكل الحب والود والصراحة، فلا تكون حياته منغلقة، أو منطقة ممنوعة، أو محاطة بسياج من الأسلاك الشائكة، والمشاركة من وجهة نظرنا تعني أن يكون هناك تبادل وجداني وفكري ما بين الأب وأطفاله، يشاطرهم أفراحهم وأحزانهم، ويشاطرونه أيضا أفراحه وأحزانه، هي صداقة من نوع خاص، فيها تبادل ثري بين قيمتي الأخذ والعطاء، فيما يقدمه الأب لأبنائه، وفيما يقدمه الأبناء لأبيهم لا أنانية فيه، فالأنانية شقاء وتعاسة، تبادل يعلو بقيمة التعاون القائم على الإيثار والتضحية ونكران الذات.

كثير من الآباء لا يكترثون بأهمية المشاركة بينهم وبين أبنائهم، وكثير منهم أيضا يهضمون هذا الحق فهم منشغلون – دائما- بمطالب الحياة وتبعاتها، يعملون ليل نهار لكسب قوتهم اليومي، حتى تمتلئ بطون أطفالهم وتكتسي أجسادهم، ولكننا نقول: (أيها الآباء، الوجبة ناقصة والرعاية مبتسرة، فما زال هناك خواء معنوي وفكري، لذلك نحن نرى ضرورة قصوى في أن يجلس الأب مع أطفاله، كلما أمكن وعلى قدر ما تسمح به ظروفه المعيشية، من حين إلى آخر، ويحدثهم بتلقائية وبساطة وصراحة عما حققه من إنجازات، وما كان يود أن يحققه، أو عن نجاحاته وإخفاقاته أيضا، أو مشكلاته في الحياة وكيف تغلب عليها، وهنا ننبه الآباء بتوخي الحذر من الغلو والتطرف، الغلو في إظهار المحاسن على طول الخط، والتطرف في دمغ الحياة بالقسوة والجبروت على طول الخط أيضا، نطالبهم بالصراحة والأمانة والالتزام بهما فلا كذب ولا مداورة ولا نفاق، لا نريد للأب أن يظهر دائما المنتصر، والقوي، إنما نريده أبا صريحا، يعلم أطفاله أن هناك أخطاء وعثرات وإخفاقات وعليهم في المستقبل تحاشيها.

إن في حديث الصراحة والأمانة تعليما حياتيا تتحول فيه القيم غير المحسوسة إلى قيم حقيقية، محسوسة وملموسة، فلا يجب أن يكون النفاق أول درس يتعلمه الطفل من دروس الحياة؟ لأن مواجهة النفس بالحقيقة- وإن انطوت على الخطأ والضعف- في أمانة وشجاعة، لنحسبها توثيقا يربط بين الآباء والأبناء، لأنهم سيشعرون أن الكبار

يخطئون أيضا ويخفقون أحيانا، ولكنهم صرحاء دائما هذه هي المشاركة التي نبغيها من كل أب حقا.(محمد محروس الشناوي ، 1996 .)

ثامنا: تشجيع الأطفال وعدم التفرقة بينهم:

تشجيع الأب وتقديره يعد أحد الأسس المهمة في بناء صرح الصحة النفسية للأطفال، حتى ينعموا بحياة هادئة مطمئنة، إن الحب العملي الذي يمكن أن يقدمه الأب هو أن يثني على أطفاله في حنو ومودة، هذا الثناء الذي يبعث فيهم الدفء ويفجر بداخلهم ينابيع الخير، ويضيء لهم طريق الحياة الذي يبدأ بالحماس ولا ينتهي، لأن كلمات التشجيع أو الثناء متى أعطيت للأطفال في حينها، جعلتهم يشعرون بقيمتهم الذاتية وبتقديرهم لأنفسهم، فكلمات التشجيع تنمي قدرات الطفل وتدفعها إلى الأمام، وإذا كان الأب مسؤولا عن أن يسود جو الأسرة الحب والاحترام المتبادل فهو المسؤول أيضا عن تجنب كل ما يسيء إلى الطفل ويقلل من قيمته الذاتية، ويثبط عزيمته، وخصوصا أولئك الآباء الذين يتوجهون بالنقد الجارح لجهلهم وعدم درايتهم ومتناسين أن هناك قوانين للتعلم تحكمها المحاولة والخطأ.

وإذا كنا إلى عهد قريب نمر بمحنة اجتماعية قوامها إيثاء الذكور على الإناث فإننا الآن نجد أن هذه الظاهرة المخيبة للآمال على وشك الزوال، إن لم تكن زالت بالفعل، ولكن مازلنا نذكر أن هذا التمييز من شأنه أن يجعل جو الأسرة مشحونا بالصراعات بين الجنسين، قد ينتهي بالعداء والكراهية.

نعم هناك أطفال يتميزون بصفات حسن المعشر وغيرهم يتصفون بالمشاكسة والعناد والعصبية، ولكن لا ننسى مبدأ مهما من مبادئ التربية القويمة، ألا وهو مبدأ الفروق الفردية الذي يحتم علينا مراعاته عند التربية، كما أن أسلوب التمييز بين طفل وآخر لا يصلح لاستخدامه وسيلة من وسائل التقويم أو التأديب لتعديل السلوك إلى الوجهة المطلوبة، لأنه من منظورنا لا يحل المشكلة بل يجعلها تتفاقم .

وخلاصة القول فإن معاملة الأب الحكيمة لأبنائه تتطلب معالجة أي نقص يظهر في سلوكاتهم أو تصرفاتهم بروية وحب واحتضان.

كما يؤدي غياب الأب في ظل الأحوال العامة التي يعيشها المجتمع ، وما تعصف بأسره من مشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية وحروب، ظاهرة خطيرة

وحساسة ليس فقط على تركيب الأسرة وروتينها بل لما يحدثه من آثار سلبية في نمو أفرادها وتطور شخصياتهم.

ويقصد بغياب الأب هنا أية حالة يكون الوالد فيها بعيدا عن أسرته مؤقتا كحالات الخدمة العسكرية والأعمال التجارية والوظيفية وانفصال الزوجين والاعتقال والسجن، أو بشكل دائم كحالات الطلاق أو الموت، كذلك إن حالات تعدد الزوجات في مجتمعنا وما تجره من بعد أو غياب دائم أو شبه دائم للأب عن أسرته تشكل هي الأخرى عاملا سلبيا خطيرا ليس فقط في الاستقرار والروتين الأسري العام لي في علاقات أفراد العائلة الواحدة بعضهم ببعض وعلى نموهم النفسي والعقلي والاجتماعي.

إن غياب الأب عن الأسرة لأي سبب كان يؤثر في تطور صفات الطفل الرجولية وخاصة الذكر في سن الثانية عشرة فإن غياب الأب يكون لديه علاقات غير ناضجة ويصبح شخصية خائفة ومترددة وقد يكون الأب موجودا ولكنه غائب بنفس الوقت وذلك لسيطرة شخصية الأم على الأسرة فإن النتيجة التي نحصل عليها هي نفس النتيجة السابقة وتميل الحد إلى انحراف الأطفال في المستقبل.

وكذلك فإن غياب الأب يؤثر في سلوك الطفل الاجتماعي فيصبح الطفل أقل استقلالية وأقل قدره على تنظيم وقته وإقامة روابط مع أقرانه مع ازدياد في القلق النفسي والاضطراب العاطفي والشعور بخيبة الأمل.

ويؤثر الأب على سلوك الطفل الإدراكي فقد يتدنى تحصيل بعض الأطفال العلمي وقد أثبتت بعض الدراسات وجود علاقة إيجابية بين غياب الأب وتطور مهارات الطفل الإدراكية كما تبين أن غياب الأب يضعف من قدرة الطفل على التركيز والانتباه.

مهما كانت أسباب غياب الأب فإن هذا يدفعنا إلى القول بضرورة تعويض هذا النقص من قبل المحيطين بالطفل كالأم مثلا أو الجد- الجدة- العم- الخال... الخ.

قائمة المراجع :

1 -أحمد محمد الزعبي (1994) : أسس علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الأولى ، دار الحكمة اليمنية ، صنعاء ، اليمن .

2 -كامل محمد محمد عويضة (1996) : علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الأولى دار الكتاب ا لعلمية ، بيروت ، لبنان .

3 -محمد محروس الشناوي (1996) : العملية الإرشادية والعلاجية ، الطبعة الأولى دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر .
4 – محمد عودة محمد وكمال إبراهيم مرسي (1986) : الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، الكويت .
5 -سميح أبو مغلي وعبد الحافظ سلامة (2002) : علم النفس الاجتماعي ، الطبعة العربية الأولى ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
6 –عبد المجيد سيد احمد منصور وزكريا احمد الشربيني (2003) : سلوك الإنسان الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر .
7 –عبد الفتاح محمد دويدار (1994) : علم النفس الاجتماعي ، أصوله ومبادئه ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
8 -فؤاد حيدر (1994) : علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي بيروت ، لبنان .
9 – خيري خليل الجميلى وبدر الدين عبده (1995) : المدخل في : الممارسة المهنية في مجال الاسرة والطفولة ، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع الإسكندرية ، مصر .
10 – خليل عبد الرحمن المعايطة (2000) : علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
11 – خليل عبد الرحمن المعايطة (2010) : علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ناشرون وموزعون ، عمان ، الأردن .